

الفصل الثالث : في الثنائيات اللغوية

أولا : (أب - أخ ...)

ثانيا : أم

ثالثا : دم

أولا : (أب-أخ ...) :

كان ابن درستويه من أكثر القدماء جدلا وإثارة للخلاف وإبداعا في عرض رؤيته ، نجده يعرض فيما يلي رؤيته في ثلاثية عدد من تلك الجذور وهو يرد على ثعلب : " أما قوله هو أب بين الأبوة ، وأخ بين الأخوة ، وابن بين البنوة ، وعم بين العمومة ، وخال بين الخئولة ، وأم بينة الأمومة ، وأمة بينة الأموة ، فليس أب ولا أخ ولا خال ولا أم ولا أمة على وزن (فَعْل) بسكون العين كما ذكر وترجم به الباب ، بل أكثرها على (فَعَل) بفتح العين من الفعل ، ولأمانتها محذوفة ، والأم أيضا مضمومة الأول مع ذلك فهي على وزن (فُعْل) مع الحذف ، ولكن الأبوة والأخوة والبنوة والعمومة والخئولة والأموة على الفعولة كما ذكر لأن الحروف المحذوفة منها قد ردت إليها في هذه المصادر ¹ .

يتضح من رد ابن درستويه السابق على ثعلب أن الأخير قد عدّها على وزن (فَعْل) وكأنها مشددة العين وهذا يتضح من عرضه لرد آخر ، يقول : " هو أَبُّ لك ، وأخُّ لك ، فاعلم أن هذه الأسماء تشدد آخرها العامة ، والعرب قد تشدد بعضها وذلك خطأ ، لأن الأب أصلها : أَبُو بالواو على وزن فَعْل ، وكذلك الأخ ، والدليل على ذلك ظاهر في تثنيتهما وهو قولك أبوان وأخوان ، لكن الواو حذفت منها في توحيدهما وفي إفرادهما ، لأنها كانت في موضع تلحقه حركات الإعراب وهي في اسم مضممر بالإضافة ، فأسقطت منها الواو فحذفت ، فبقيا على حرفين خفيفين ، كما كانا في التثنية ، وهما أَبُّ وأخُّ بغير تشديد ، وإذا أضيفا أو ثنيا ، ردت الواو المحذوفة منهما فقل : أخوك وأبوك بغير تشديد أيضا ... وقد أبوته أبوه ، وأخيته فأنا وأخيه ، وهم الآباء والإخوة ، وكذلك ترد في التصغير فيقال : ... أُبِّي وأُخِّي " ² .

و إلى قريب من ذلك ذهب الزمخشري في شرحه للفصيح : " والأبوة على فعولة : الأب : اسم ناقص كان في الأصل أَبُو ، على فَعَل ، فحذف آخره ، وهو الواو ، والدليل عليه أنك إذا ثبت قلت :

¹ - تصحيح الفصيح و شرحه ، لابن درستويه 201

² - تصحيح الفصيح و شرحه ، 395

أبوان ، وكذلك القول في الأخ وتثنيته : أخوان ، وجمع الأب آباء ، ويقال أبون في حالة الرفع ، وأبين في حالة النصب والجر ، وعلى هذا قراءة من قرأ { إله أبيك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق }¹ ، أراد أبينك فحذف النون ، وأراد جمع الأب " ² .

ولم يكن خلافهم حول أصل (أب - أخ) فحسب ، بل اختلفوا أيضا من الفعل منها ووقعوا في اضطراب ، يظهر ذلك الخلاف أكثر في قول ابن درستويه : " وقد حكى في الأب : كنت أبا ولقد أبوت ، وما كنت أخا ولقد أخوت ، على فَعَلْتُ ... حكاه لنا ثعلب عن سلمة عن الفراء ، وهذا خلاف قياس المصدر منها وهو الأبوة والأخوة أو خلاف أبنية الفعل المضارع للانتقال من حال إلى حال وكان قياسه أن يقال : أبوت وأخوت على فَعُلْتُ بضم العين من الماضي والمستقبل كقولك : هو يأبو ويأخو ، على مثال كَرُم يكرُم وظرف يظرف ... ويقول بعضهم : أبيت من الأب على فَعِلْتُ ، بكسر- العين من الماضي وحكى ذلك لنا ... عن اليزيدي وهذا أقيس مما حكى عن الفراء ، لأن فَعِلَ تدخل على فَعُلَ لأنها أيضا من أمثلة ما لا يتعدى " ³ .

و من العرض السابق يظهر لنا خلافهم حول :

1- أصل (أب وأخ) هل هو أبٌ وأخٌ بالتضعيف ، أم أبُوٌ وأخُوٌ بثالث يتم حذفه في مواضع ورده في أخرى؟

2- الفعل من (أب وأخ) هل هو : أبوته أبوه وأخيته أواخيه ، أم أبوت وأخوت ، أم أبوت وأخوت ، أم أبيت وأخيت ؟ ، وهو تخطيط ناتج عن عدم اتفاق حول جذر (أب وأخ) فوضعوا أفعالا مختلفة مضطربة على عدة أوزان : (فاعل - فَعَلَ - فَعُلَ - فَعِلَ) على الترتيب .

¹ - من سورة البقرة ونص الآية : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة 2/

² - شرح الفصيح ، للزمخشري 277 - 278

³ - تصحيح الفصيح و شرحه ، لابن درستويه ، 210

و لم يكن بقية النحاة القدماء بأفضل حالا في معالجة (أب وأخ) ومعهما بقية الأسماء الستة، فلقد ظهر في معطياتهم كثير من الاختلاف والاضطراب واتفقوا جميعا على أنها في أصل بنائها على ثلاثة أحرف .

جاء في لسان العرب " الأخ كان تأسيس أصل بنائه على فَعَل بثلاث متحركات وكذلك الأب ، فاستثقلوا ذلك وألقوا الواو وفيها ثلاثة أشياء : حرف وصرف وصوت ، فربما ألقوا الواو والياء بصرفها فأبقوا فيها الصوت فاعتمد الصوت على حركة ما قبله فإن كانت الحركة فتحة صار الصوت منها ألفا لينة ، وإن كانت ضمة صار معها واواً لينة ، وإن كانت كسرة صار معها ياءً لينة ، فاعتمد صوت واو الأخ على فتحة الخاء فصار معها ألفا لينة : أخا ، وكذلك أبا " ¹ .

وهم في ذلك يعالجون القضية كالسائر من الأمام إلى الخلف فكأن الثلاثي هو ما أدى إلى الثنائي ، ويتأكد ذلك من قولهم " ثم ألقوا الألف استخفافا (يقصد أخا ، أبا) لكثرة استعمالهم وبقيت الخاء على حركتها فجرت على وجوه النحو لقصد الاسم " ² .

و استدلوا على الثلاثية في أب وأخ - كما سبق - بالمصدر والثنية والجمع أيضا جاء في لسان العرب : " والأب أصله أبو بالتحريك لأن جمعه آباء مثل قفا وأقفاء " ³ .

ولما حاول البصريون والكوفيون مناقشة ثلاثية الأسماء الستة ومنها (أب وأخ) عن طريق الإعراب أوقعونا في اضطراب أكبر من ذي قبل ، ومن ذلك ما جاء في الإنصاف : " أما من ذهب إلى أنها إذا كانت مرفوعة ففيها نقل بلا قلب وإذا كانت منصوبة ففيها قلب بلا نقل وإذا كانت مجرورة ففيها نقل وقلب ، فقال : لأن الأصل في قولك (هذا أبوه) : هذا أبُوهُ ، فاستثقلت الضمة على الواو فنقلت إلى ما قبلها وبقيت الواو على حالها فكان فيه نقل بلا قلب ، والأصل في قولك (رأيت أباه) رأيت أبُوهُ ،

¹ - لسان العرب / أخا

² - لسان العرب / أخا

³ - لسان العرب / أبي

فتحركات الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا فكان فيه قلب بلا نقل ، والأصل في قولك " مررت بأبيه " مررت بأبوه فاستثقلت الكسرة على الواو فنقلت إلى ما قبلها فقلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها فكان فيه نقل وقلب " ¹ .

و في تحديد علامات الإعراب ذهب الكوفيون إلى أنها معربة من مكانين :

1- في حالة الأفراد تعرب بالحركات بعد إسقاط الواو استثقالا لها وفي حالة الإضافة تعرب بالحركات أيضا مع وجود الواو والياء والألف .

2- و تعد الواو الياء والألف إعرابا أيضا فيكون إعرابها من مكانين ، ومن الكوفيين من تمسك بقوله : أعربت من مكانين لقلّة حروفها كثيرا لها .

و ذهب البصريون إلى أنها معربة من مكان واحد أو الواو والألف والياء هي حروف الإعراب ، وذهب الأخفش إلى أنها ليست حروف إعراب ولكنها دلائل الإعراب كالواو والألف والياء في التثنية والجمع وليست بلام الفعل ، ... وذهب أبو عثمان المازني إلى أن الياء حرف الإعراب وإنما الواو والألف نشأت عن إشباع الحركات ² .

وعاد ابن الأنباري ليرفض القول بإشباع الحركات وفي رأيه " هذا القول ظاهر الفساد لأن إشباع الحركات إنما يكون في ضرورة الشعر وأما في حال اختيار الكلام فلا يجوز ذلك بالإجماع " ³ .

و عاد فريق يرد على خصمه القائل " إنما أعربت هذه الأسماء الستة من مكانين لقلّة حروفها ... هذا ينتقض بـ (غد ويد ودم) فإنها قليلة الحروف ولا تعرب في حال الإضافة إلا من مكان واحد " ⁴

و ذهب بعضهم إلى أن الواو والياء والألف في مثل (أبو) ليست بحروف إعراب كالبدال في زيد ولكنها دلائل الإعراب لأنها تتبدل والبدال في زيد لا تتبدل ⁵ . ولعل هذا الرأي هو أقرب الآراء إلى

¹ - الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين 18

² - انظر : الإنصاف ، 13 - 14 بتصرف

³ - الإنصاف ، 22

⁴ - الإنصاف ، 24

⁵ - انظر : الإنصاف ، 17 - 18

الصواب ويشير إلى ثنائية الكلمات والغريب في الأمر أننا نجد الأصل الثنائي معمولا به ، " يحكي بعض العرب أنهم يقولون هذا أبك ، ورأيت أبك ، ومررت بأبك .. وقد يحكي بعض العرب أنهم يقولون هذا أباك ورأيت أباك ومررت بأباك " 1 .

وربما الذي أوقعهم في هذا الاضطراب هو قولهم بثلاثية الأصول في كل الجذور العربية وما خالف ذلك أخذوا يتأولونه ويعالجونه كل حسب رأيه ومنطقه العقلي الذي يبتعد في بعض الأحيان عن الواقع اللغوي .

و من الموضوعية أن نذكر أن الأغلب الأعم من الجذور السامية - وليس العربية فحسب - تعود إلى أصل ثلاثي بل إن أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب رأى " أن كل كلمات اللغات السامية تقريبا تنضوي تحت مجموعات يتعلق المعنى الأساسي المشترك فيها بثلاثة أصوات صامتة " 2 . وكذا جعل بروكلمان " الغالبية العظمى من الجذور السامية ذات أصول ثلاثية من السواكن " 3 .

لكن هذا لا يمنع كون هذه المجموعة وغيرها من الثنائيات التاريخية التي تطورت فيما بعد بالعلل الطويلة الإعرابية لتظهر كأنها ثلاثية ويبقى من الركام اللغوي ظواهر تؤكد ثنائيتها وإعرابها بالعلل القصيرة مثلها مثل (يد) تماما .

وقبل أن نؤكد هذه النتيجة عن طريق المقارنة السامية لابد أن نشير إلى أن هناك فريقا كبيرا من المعاصرين من قصرت رؤيته على آراء القدامى فراح يرددها ويأخذها ، وهو ما يمكن أن نطلق عليه (النحو التقليدي والنحاة التقليديين) وجدوا أنفسهم منقادين لأقوال القدماء ، قابلين لها على ما فيها من تداخل وتضارب يستحيل معه السير على طريق واحدة .

¹ - الإنصاف ، 14

² - المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ، رمضان عبد التواب 229

³ - C. Brockelmann : Precis de linguistique semitique , 14

فمنهم من يرى أن "أب أصلها أبو حذفت الواو للتخفيف ومثلها أخ" 1 . ومنهم من يقول : " ويبدو لنا من استعراض الكلمات التي اعتراها الحذف أنها مما يكثر استعماله نحو (أب وأخ ...) وبعضها اعتراه الحذف والتعويض نحو (أم) وما يعرف في اللغة بباب سنة كشفة " 2 .

حتى أولئك الذين حاولوا التطوير في الدراسة الصرفية وأرادوا أن يدخلوا برؤية جديدة في الصرف العربي وقعوا في شرك الأصولية الثلاثية فراحوا يرددون " أن الكلمة قد تكون ثلاثية الأصل ثنائية المنطوق ... ومن ثم قرر الصرفيون بحق أن أصول الكلمة العربية ثلاثة (واقعا أو افتراضا) " 3 .

بل إن بعضا من المستشرقين بما لهم من باع في الدراسات السامية وقفوا أحيانا حائرين أمام تلك المجموعة من الثنائيات ، فهذا O'Leary يراها " عولجت كثنائية الأصل ، وربما تكون ماثلة لأشكال ثلاثية ، أو أنها أصلا كانت ثلاثية " 4 .

وهذا رايت W. Wright يقول : " عدد قليل من الكلمات بحثت لها عن حالة نهائية في السريانية دون جدوى : اب ، اح ، حم ، في العربية : أب ، أخ ، حم ، وفي العبرية אב ، אח ، חם ، هذه كلها فقدت الجذر الثالث (الواو w) وظهرت في العربية في حالة الإضافة كما يلي : الرفع أبو بدلا من أبو ، الجر أبي بدلا من أبو ، النصب أبا بدلا من أبو " 5 . وبعد نقاش طويل حول أصل الحرف الثالث فيها انتهى رايت إلى الجملة التالية : " إن حقيقة الحرف الثالث مازالت غير واضحة لي " 6 .

وقد لاحظ هذا الاتجاه التقليدي لدى المعاصرين أستاذنا الدكتور محمد صالح توفيق الذي أشار إلى أن " بعض علماء الساميات قد تبنوا منهج النحاة العرب وخلصوا إلى أن هذه الأسماء ثلاثية الأصل ومن هؤلاء فوجت voiget الذي رأى أن اللغات السامية توحدت في أغلب هذه الكلمات

1- تيسير الإعرال والإبدال ، عبد العليم إبراهيم 68

2- ظاهرة الحذف في درس اللغوي ، طاهر سليمان حمودة 40

3- المنهج المنهج الصوتي للنسبة العربية رؤية جديدة في الصرف العربي ، عبد الصبور شاهين 52 .

4- O'Leary: Comparative grammar of the Semitic languages , 177

5- W.Wright: Lectures on the comparative grammar of the Semitic languages , 142

6- W.Wright: Lectures , 143

إلى أن الأصل الثالث هو الواو ، كذلك جزيينوس الذي يرى في نحو (أب و أخ) أسماء تبدو لأول وهلة أنها ثنائية الأحرف أحادية المقطع ، ولكنها تعد ثلاثية الأحرف برد الحرف المحذوف عند الإضافة " 1 .

و لكن بالنظر في العديد من اللغات السامية يتأكد لمعظم الباحثين أن هذه الكلمات وغيرها تعود إلى أصل ثنائي ، ويؤكد ذلك غالبية المستشرقين ومن أبرزهم بروكلمان وبرجشتراسر 2 .

ويذهب الدكتور محمد صالح توفيق هذا المذهب فيقول " والرأي السامي المقارن محمود لدينا ، لأنه يعالج مشكلة الأسماء الستة حيث يكون الإعراب على الحرف الثاني وهذا يتفق مع تطور الإعراب في السامية الأم ، بدأ بالحركات أولا ثم كان الإعراب بالحروف نتيجة إشباع الحركات ، ثم حدث لهذه الأسماء الستة ، أن انتقلت من الإعراب الثلاثي إلى التزام علامة إعرابية واحدة في بعض اللهجات العربية القديمة ، وهو تطور نجده في العبرية التي لزمتم الياء مثلا نحو (أبوها ' abihā) وبقاء الواو في السريانية نحو (أخوك ' ahōkī) وهذا يشبه أيضا ما نسمعه في اللهجات العربية المعاصرة من التزام الواو مع الأسماء الستة " 3 .

أما الحبشية فقد احتفظت في الأسماء الثلاثة (أب - أخ - حم) باللاحقة الضميرية في حالة الرفع (nom) :

ʾbo - ʾbōk ʾabā - ʾabāk كذلك أيضا

(أباك ' abāk) يستخدم في حالة النصب 4 .

¹ - العربية واللغات السامية ، محمد صالح توفيق 34 بتصرف .
² - انظر : العربية واللغات السامية ، 34 / محاضرات في العربية واللغات السامية ، محمد صالح توفيق 61 / وانظر : فقه اللغات السامية ، كارل بروكلمان 93 / التطور النحوي للغة العربية 95-96
³ - محاضرات في العربية واللغات السامية ، 36 - وانظر : ص 62 / العربية واللغات السامية ، 35 / وانظر : في قواعد الساميات ، رمضان عبد التواب 158

⁴ - W.Wright: Lectures , 143

فالعبرية إذا اختارت حالة الجر للكلمات الثلاث abik אֲבִי־، abī אֲבִי، abok אֲבֹק وكذلك ahok אֲחֹק، hamok 1. وذهب أوليري إلى أن " الواو الأخيرة في (أبو) قد تكون للتماثل أو ربما تطوبل للصائت أدخل كتعويض للجذر الثنائي " 2.

و رأى بروكلمان في الحركات الطويلة للأسماء الستة علامات للإعراب تعوض ثنائيتها يقول : " وقد احتفظت العربية القديمة بحالات الإعراب الثلاث الرئيسة سالمة غير أن الحركات قصرت ولا تحتفظ بطولها إلا في الوقف والقافية أحيانا ، وقد بقيت طويلة دائما في كلمات القرابة في حالة الإضافة (أب - أخ - حم) تلك الكلمات التي يعوض فيها سقوط لام الكلمة بهذا الطول للحركة " 3 .
أما موسكاتي فقد رأى عناصر المد " جزءا مما يتألف منه الجذر ... تكون قصيرة في الجذور الساكنة الثلاثية ... ولكن في الأغلب طويلة في ثنائيات السواكن " 4 . ويشير موسكاتي في موضع آخر إلى أنه " قد بقيت أسماء ثنائية قديمة مثل أب وأخ وشقة ودم ويد وابن واسم وإن عمدت بعض اللغات السامية إلى تثليث هذا الجذر في بعض مشتقاته كما فعلت العربية حين جمعت (أبا) على (آباء - أفعال) ، و (أخوا) على (إخوة - فعلة) ... " 5 . ويشير لندبرج Lindberg إلى مثل هذا الرأي " فاللاحقة (و ، ي) تضاف في كل اللغات السامية إلى (أب) " 6 .

¹ -W.Wright: Lectures , 143

=

/ وانظر :

= W.Gesenius: Hebrew and English lexicon 1079

وانظر : فقه اللغات السامية ، كارل بروكلمان ، 101 / غرامطيق اللغة الآرامية السريانية 115 - 116 /
دروس في اللغة العبرية ، ربحي كمال 117 - وانظر أيضا ص 546

² -O'Leary: Comparative grammar of the Semitic languages , 177

³ - فقه اللغات السامية ، 100

⁴ - مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، سباتينو موسكاتي و آخرون 124 - 125

⁵ - الحضارات السامية القديمة ، سباتينو موسكاتي ، 241

⁶ - O. E. Lindberg: Vergleichende grammatik , 1 . P 116

ويشير صاحب اللمعة الشهية إلى أن مثل هذه الكلمات في حالة الافراد في السريانية " يتميز عن غيرها بأن كلا منها لا يظهر فيه إلا حرفان أصليان بحركة على ثانيهما وذلك أن : ܡܠܟܐ و ܡܡܠܟܐ و ܡܡܡܠܟܐ ܡܡܡܠܟܐ / آبا، آحأ / إيد / إنما حرك أول حرف فيها لتسهيل اللفظ ، لأنه غير ممكن لفظ الألف و اليوز في أول الكلمة ساكنين " 1 .

ووزن هذه الكلمات في السريانية (فع) فهي تلحق بالمعتل اللام المحذوف منه " فينتقل إلى وزن ܡܡܡܠܟܐ fa'ā نحو ابن ܡܡܡܠܟܐ brā ... ويلحق بها ܡܡܡܠܟܐ 'abā أب ، ܡܡܡܠܟܐ 'ahā أخ ... 2). وتشير لغات النقوش السامية الشمالية أو الجنوبية إلى ثنائية أب وأخ ، فلفظة (أب) - اسم مفرد مذكر - عرف بهذه الصيغة في النقوش الفينيقية ، والقبطانية ، والمعينية ، والسبئية ، والمنذعية ، بينما ورد بصيغة (أب و) في النقوش الآشورية والآرامية ، وبصيغة (ܡܡܠܟܐ) في السريانية 3 . وكذلك لفظة (أخ) في النقوش : اسم مفرد مذكر أو هو اسم سامي مشترك جاء في العديد من النقوش السامية الأخرى مثل الأوجاريتية والفينيقية والآرامية الدولية والحضرية واللحيانية ، بينما جاء بصيغة (أخ و ، أ خ ي) في النقوش السبئية والقبطانية والمعينية ، وبصيغته (أخ ا) في المنذعية ، وبصيغة ܡܡܠܟܐ في العهد القديم و التراجوم وفي السريانية بصيغة ܡܡܠܟܐ ، وبصيغة ehew في الحبشية الكلاسيكية ، أما في الآشورية فقد عرف بصيغة h̄hutu 4 .

وفي النقوش الجنوبية نجد (أب) ، في المعجم السبئي : b̄ ويجمع بالواو (bw) أو بالهاء (bh) 5 . و (أخ) : h̄ - hy أحيانا بالياء وأحيانا بدونها ، ويؤنث بالتاء ht̄

1- اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ، إقليميس يوسف داود الموصلي 86

2- غرامطيق اللغة الآرامية السريانية (صرف ونحو) ، القس بولس الكفرنيس 30

3- انظر : المعجم النبطي ، سليمان بن عبد الرحمن الذبيب 1 - 2

4- انظر : المعجم النبطي 6 - 9

5 - A.F.L Beeston , M.A.Chul, W.W.Mulle : Sabaic dictionary .P 1

ويجمع بالياء hy ¹ . وصيغة الجمع في (أخ) المنتهية بالياء هي السائدة في السبئية الفصحى :
 ahy (إخوة) ² . لذا نجد الجمع السالم فيها على الشكل .. اخي (أخ ي) مضافا (إخوة) ³ .
 ولم ترد (أخوة) بالواو في النقوش اليمنية مضافة إلى الضمير بل إن "زيادة الياء توجد أحيانا
 حتى في المفرد المضاف إلى ضمير في كلمتي : بنيهو (ب ن ي هـ و) اخيهو (أخ ي هـ و) ولم
 يشاهد أبدا بنوهو (ب ن و هـ و) للمفرد ولا (أخ و هـ و) للمفرد ⁴ .
 و معلوم لدى خبراء النقوش الجزيرية القديمة عدم تسجيل أصوات العلل الطويلة (واي) في
 تلك النقوش فهي أبجديات السواكن فقط ، وتشير تلك النقوش إلى أن (أب وأخ) من جذرين
 ساكنين أو منها النقوش التمودية في سكاكا بالجزيرة العربية في الفترة التمودية المتوسطة (القرنين الثالث
 والثاني ق . م) والفترة التمودية المتأخرة (القرن الأول ق . م وحتى الثالث الميلادي) ومن تلك
 النقوش النقوش :

وت وق إل أخ هـ

وقراءته : واشتاق إلى أخيه ⁵ .

ومنها أيضا : ⁶ :

ل ب ك ر ب ن ح ب ب و و ج م ع ل ا ب هـ

وقراءته : بواسطة بكر بن حباب ، وحزن (وجم) على أبيه .

وفي (أخ) يستدل د.إسماعيل أحمد عمارة على ثنائيتها في " تأنيثها بالتاء (أخت) مثل (ابن)
 ... ، وحتى لا يناقض القدماء أنفسهم رفضوا أن تكون تاء التأنيث مسبقة بساكن !! . وقد ضمت في

¹ - A.F.L Beeston , . P 4

² - انظر : قواعد النقوش العربية الجنوبية ، كتابات المسند ، ألفريد بيستون 50

³ - مختارات من النقوش اليمنية القديمة ، محمد عبد القادر با فقيه وآخرون 78

⁴ - مختارات من النقوش اليمنية القديمة ، 77 - 78

⁵ - نقوش تمودية من سكاكا دراسة تحليلية ، سليمان بن عبد الرحمن الذيب 92

⁶ - انظر : نقوش تمودية من سكاكا دراسة تحليلية ، 26

العربية عند التأنيث (أخت) ، أما في العبرية فظلت مفتوحة ، وقد كسرت في الحبشية فهي eht ، على غرار (بنت) وقد عرفت اللهجات العربية الحديثة الحالات الثلاث الضم والفتح والكسر ¹ .

و قد قال القدماء في التاء أنها تعويض عن الواو في (أخو) ويتساءل د. إسماعيل عمايرة " فلماذا لم يعوض عن الواو في نحو : (ابن وهن) ، فالوجه إذن أن هذه التاء للتأنيث ، بيد أن عدم توالي السواكن لم يستدع الإتيان بالفتحة التي استقدمت للتخلص من السواكن ² .

و تشير المعاجم السامية المختلفة إلى ثنائية (أب وأخ) حتى في التركيب ؛ ففي الساميات الشمالية يظهر (أب) في التركيب ثنائيا في الكلدانية ، ففيها : أبو الأب - جد : ܐܒܐ ܥܒܐ (أبأبأ) ، و أبو الآباء ، بطريك : ܐܒܐ ܥܒܐ (أبأبأ) ³ . كما اتفقت على ذلك في غير التركيب ففي السريانية أب ܐܒܐ ، أخ ܐܚܐ أو ܐܗܗܐ ⁴ .

وفي بقية اللغات السامية سنجد (أب وأخ) من الكلمات الثنائية بالفعل :

ففي العبرية : ܐܒ ܐܚܐ و ܐܒ ܐܚܐ - وفي الآرامية ܐܒܐ ܐܚܐ و : ܐܒ ܐܚܐ - وفي

الحبشية ܐܒ ܐܚܐ و ܐܒ ܐܚܐ - وفي الآشورية ܐܒܐ ܐܚܐ - وفي الأكادية

¹ - انظر : ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية إسماعيل أحمد عمايرة 48 بتصرف / وانظر أيضا مناقشة تلك القضية : المصطلح الصرفي ،ميزات التذكير والتأنيث ، عصام نور الدين 206 - 207

² - ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية 48

³ - انظر قاموس كلداني عربي ، المطران يعقوب أوجين منا ، باب الألف ص 1

⁴ - انظر في ذلك : L.Costaz: Syriac-English- French – Arabic

dictionary , 1, 5

- O. E. Lindberg: , 1,40 , 111

- W.Gesenius: , 3

- C. Brockelmann: Syrische Grammatik, 57

و انظر أيضا :

- ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية 17 / البراهين الحسية ، 49 / مدخل إلى نحو اللغات

السامية المقارن 73 ، 143 / التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية و اللغات السامية 35

/ المعجم المفصل في مصطلحات فقه اللغة المقارن ، 219 / ملتقى اللغتين العبرية والعربية ،

90/2 - معجم مفردات المشترك السامي 33,49

abum'ahum - وفي العربية الجنوبية 'ab'ah - وفي الأوغاريتية 'ah - وفي الفينيقية 'ah و¹ . 'ab - 'ah .

- وفي الآرامية الغربية westaram : 'ah - وفي السامرية sam : 'ah و² . (اب - اح) - وفي المندعية : 'ab و³ . (اب - اح) .

وإذا اتجهنا إلى المعاجم العبرية يؤكد "معجم داود بن إبراهيم الفاسي لاحقة الياء في 'ab' (أبي) ، 'abik 'أبيك' ³ . وفي مادة (أب) يشير ابن بارون إلى أنها تشبه الكلمة العربية (أب) ويضيف أن الكلمة في العبرية يضاف إليها ياء في حالة الإضافة مثل 'abik - 'aby أ والكلمتان في النصوص العبرية المقدسة من الكلمات التي ورد ذكرها في التوراة أكثر من سبعين مرة بتلك الصيغ المشار إليها 'ab ، 'abik ، 'abik ⁵ .

و تؤكد النصوص السامية الشمالية المقدسة هذه الحقائق حيث نجد " في الفقرة 195 من قانون حمورابي : summa maru abasu imtahs بمعنى (إذا ضرب ابن إياه) " نجد كلمة : (abasu) بمعنى (أباه) وهي في حالة المفعولية منصوبة بالألف، لأنها من الأسماء الخمسة تماماً كما في العربية " ⁶ .

وفي سفر التكوين الاصحاح الثاني : 24 :

וַיַּבֶּן אֱיִשָׁה אֶת-אָבִין וְאֶת-אִמּוֹ

وترجمته (يترك الرجل أباه وأمه) ⁷ . وهي ملتزمة باللاحقة الياء كما ذكرنا .

وقراءته : ya'zāb 'īš 'et-ābīn wet-'emmó

¹ - W. Gesenius: 3 - 26

وانظر : مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، 73 - 74 / معجم مفردات المشترك 33 ، 42 - ظاهرة التأنيت بين اللغة العربية واللغات السامية 17

² - O. E. Lindberg: Vergleichende grammatik 1 - 40 - 111

³ - المعاجم العبرية دراسة مقارنة ، سلوى ناظم 96

⁴ - المعاجم العبرية ، 181 - 182

⁵ - انظر : دروس في اللغة العبرية القديمة من خلال نصوص التوراة ، سلوى غريسة 195

⁶ - فصول في فقه العربية ، رمضان عبد التواب 383

⁷ - انظر : قواعد اللغة العبرية ، عوني عبد الرؤوف 294

وفي آرامية العهد القديم ، سفر دانيال 5 : 18 :

יְהִי לְבִבְיָזָר יָבוֹךְ (وهب لنبوخذ نصر أباك)¹ .

وقراءته : yāhab lenbóħazneššar ' bōk . والغريب في هذا النص أن الكلمة جاءت باللاحقة الواو ! الأمر الذي يدل على أن ارتباط العلل الطويلة بنهايات هذه الأسماء متداخل بين الساميات واحتفظت بصوره كاملة العربية الفصحى .

وقد أكدت النصوص السابقة تنوع اللواحق الثلاثة (الألف والواو والياء) في نهايات الأسماء الخمسة ، في العبرية الياء ووجدنا الواو أيضا ، وفي الحبشية الواو ، وفي البابلية (نصوص حمورابي) ووجدنا لاحقة بالألف² .

كما ورد أيضا جمع الصيغة جمعا سالما على ثنائيتها (أبون وأين) وبها قرئ : ﴿إِلَهَكَ وَإِلَهَ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ (سورة البقرة 2 / 133) يقصد الجمع مع حذف النون للإضافة³ . وجاء في المحتسب لابن جني : " وطريق ذلك أن يكون (أبيك) جمع أب على الصحة ، على قولك للجماعة هؤلاء أبون أحرار ، أي : آباء أحرار ، وقد اتسع ذلك عنهم ، ومن أبيات الكتاب : (متقارب)

فَلَمَّا تَبَيَّنَ أَصْوَاتُنَا بَكَيْنَ وَفَدَيْنَا بِالْأَيِّنَا " ⁴ .

وقد احتفظت العربية الفصحى بجميع الصور الأمر الذي يؤكد أصالة اللغة العربية وأن من استشهد بها على غيرها كان على صواب وذلك يشير إلى أنها اللغة السامية الأم بلا جدال .

¹ - آرامية العهد القديم قواعد ونصوص ، يوسف متى فوزي وآخرون 141

² - وفي اللهجات العامية المعاصرة نفس ماحدث في الساميات والتي تعد عند كثيرين مجرد لهجات للسامية الأم (العربية) ففيها لزمتم (أب - أخ) الواو : أبوك طيب - شفت أبوك - سلمت على أخوك ، ولزمت (حم) الألف : حماك طيب - شفت حماك - سلمت على حماك . وفي اللهجات العربية القديمة أيضا وجدنا هذا التنوع في التزام نهاياتها ، فقد وردت عنهم الصورة التثنية (هذا أبك ، ورأيت أبك ، وسلمت على أبك) ، وورد في لهجات أخرى (إن أباه وأبا أباه قد بلغا في المجد غايتها) .

³ - انظر : الإنصاف في مسائل الخلاف 14 - 15 / شرح الفصيح ، للزمخشري 278

4 - المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، أبو الفتح عثمان بن جني 1/ 112

حتى إذا نظرنا إلى مجموعة اللغات الحامية السامية وجدناها تشير إلى ثنائية (أب وأخ) ، ففي اللغة المصرية القديمة (ab) = أب ، و abut = جد¹ . والطريف في الأمر أن يجعلها لويس عوض أساسا لكل اللغات ، فيقول " وأثرت (با) المصرية في أب وآب العربية والسامية بل في كل ما يتصل بالوالد في كل اللغات كافة " ² . و كان بعض الباحثين المعاصرين ذهب إلى أكبر من ذلك فجعل اللغة المصرية القديمة أيضا أم اللغات العروبية (السامية) وهي أساس مثل تلك الألفاظ ³ .

و إذا خرجنا خارج المجموعة السامية سنجد أيضا في المجموعة القوقازية والهندوأوروبية أن (أب - أخ) ليسا من الجذور الثلاثية : ففي لغة الباسك أب : (jaBe : السيد) أ وفي القوطية (aba) .
و في اليونانية pappos < pappas < papas < papa
و في اللاتينية avus (جد) ⁴ .

مع ملاحظة بعض الصيغ المضاعفة صوتيا لا جذريا ، وملاحظة أن بعض الصيغ تطورت عن طريق تضعيف الجذر أو تغير الصوت الشفوي (b) إلى شفوي آخر (w) في القوطية (awo) ، والفاء في الأيسلندية (afi) أو الشفوي المهموس (p) في بقية اللغات المذكورة ⁵ .
و أشار إلى مثل ذلك لويس عوض في كتابه - الذي تمت مصادرتة - (مقدمة في فقه اللغة العربية) يقول " والعنصر الأساسي في الكلمة الهندية الأوروبية الدالة على (أب) هو pa [فا) fa في اتجاه و (ba) في اتجاه آخر أو هو أساس الكلمة في العربية والساميات عامة " ⁶ .

و كنا قد أشرنا إلى أن بروكلمان قد نسب هذه الطائفة من الكلمات إلى لغة الأطفال و الطفل عادة ما يلفظ بالأصوات الشفوية مبكرا نتيجة استخدام الشفتين باستمرار في الرضاعة ؛ الأمر الذي

¹ -E.A.Wallis: An Egyptian Hieroglyphic dictionary , 4-5

² - مقدمة في فقه اللغة العربية ، لويس عوض 16

³ - انظر : هل في القرآن أعجمي ؟ علي فهم خشيم 27

⁴ -E. Drake : Discoveries, 38

⁵ :-E. Drake : , 38 انظر

⁶ - مقدمة في فقه اللغة العربية ، لويس عوض 318

يسهل عليه البدء بنطق أصوات m ، w ، b مبكراً ، والباء هو الجذر الأساسي في كلمة (أب) الأمر الذي يشير إلى أنها من المحتمل أن تكون بدأت أحادية الجذر يدل على ذلك أنه " يلاحظ فيما يعرف بلغة الطفولة في مختلف اللغات " ¹ .

وقبل أن نختم هذا المبحث نود أن نشير إلى ما يخص تلك الصيغ الفعلية التي وضعها شراح الفصحى من (أب وأخ) في مثل أبوته وأخيته وأبوت وأخوت ، وأبوت وأخوت ، وأبوت وأخوت ، ليستدلوا على عودة الحرف المحذوف - كما زعموا - إلى الفعل ، ناسين أن هذه الأفعال هي من اختراعهم ؛ لأن الاسم الجامد سبق الفعل بالتأكيد .

وهذا هو ما ذهب إليه برجشتراسر : " فكل الأسماء المذكورة وما شاكلها في سائر اللغات السامية أصلية غير مشتقة من الأفعال ، كما زعم النحويون واللغويون القدماء ، الحقيقة غير ذلك أ فالأفعال منها إذا وجدت مشتقة من الأسماء " ² .

وإلى ذلك ذهب د. عمر صابر عبد الجليل فالفعل من (أخ) ورد كثيراً في اللغات السامية ولغة النقوش مشتقاً من الاسم " أخوا / أخي / أخى / تأخى : اتخذ أخوا ، تصادق . وفي الأكديّة : ahū : تأخى - أخى وهو فعل مشتق من الاسم ahū : أخ ، وفي العربية الجنوبية : اخو : (اخ و) أخى ، حالف أحدا ، تاخون (ت اخ و ن) : تأخى - تحالف مع ، وفي الحبشية [†] ሕጎወ : تأخى " ³ . (ta' ahawa) .

و لم نقل بخطأ ابن درستويه والشرح في وضع أفعال ثلاثية من صيغ ثنائية فهو عرف لغوي يجب أن يسير على النظام الغالب في اللغة الفصحى ثلاثية الجذور ، كذلك لم نقل بخطئهم في تثليث (أب - أخ) بالعلل الطويلة (واي) في الاعراب رفعا ونصب وجرا ؛ فما تلك العلل إلا امتدادا للعلل

¹ - هل في القرآن أعجمي ؟ 27

² - التطور النحوي للغة العربية ، برجشتراسر 97 - 98

³ - المعجم التأصيلي للفعل الناقص في اللغات السامية ، عمر صابر عبد الجليل 28

القصيرة ، والضمّة والفتحة والكسرة تحولت تاريخياً إلى علل طويلة ، هذا التحول يتسق مع النظام الثلاثي في اللغة فبدا كأنه طبيعي ، ولكنه لم يكن أبداً أصيلاً .

ثانياً : (أم) :

يرفض ابن درستويه أن تكون كلمة (أم) ثنائية بل ويرفضها ثلاثية كما رآها بعض القدماء في الجذر (أم م) ، ويدخل في نقاش طويل حول أصل (أم) ، والذي أراد أن يؤكد في هذا النقاش أن (أم) ثلاثية الجذر من الهمزة والميم والهاء (أم هـ) ، ويستند في هذا الرأي على أقوال للخليل مرة وعلى نقاشات صرفية مرة أخرى ، وجدليات عقلية مرة ثالثة ، وهو يعتبر المصدر من أم وهو (الأمومة) شاذاً ، ويأخذ على ثعلب وضعه (الأمومة) في المصادر على وزن (الفعولة) ، ويرد في كلام طويل على النحويين الذين قالوا بزيادة الهاء في (أمهات) فهو يراها أصيلة .

يقول ابن درستويه : " زعم بعض النحويين أن الهاء في أمهات زائدة ، وأن الأصل أمات ، ويجب عليه أن يزعم أن (الأمهات) : فُعَلِهَات ، والواحدة : فُعْلَهَة ، وهذا بناء ليس له في كلام العرب نظير ، ولا يجوز أيضاً أن تكون أمّهة فُعْلَهَة ، لأن أمّهة ثانيها مضعّف أو فعله ليس ثانيها مضعفاً ، فإن ضُعّف عين فعله صارت على وزن (فُعْلَهَة) وهذا أقبح من الأول لأنه ليس في كلام العرب هذا المثال مع ثقله ، فجعل الأمات التي لا يتكلم بها أحد من الفصحاء ولا توجد في القرآن ولا في الشعر إلا ضرورة هي الأصل ، وجعل الأمهات التي أطبقت العرب على الكلام بها ، ولم يجيء في القرآن إلا كذلك شاذاً ورديثاً " ¹ .

ويرد على ثعلب في المصدر (الأمومة) " فأما الأمومة في مصدر الأم فمخالفة للقياس شاذة عن نظائرها لأن الأم تقدّيرها : أمّهة ، على وزن فعلة بتشديد العين ولكن قد حذفت منها الهاء الأصلية التي هي لام الفعل والدليل على ذلك أن جمعها الأمهات ، كما قال عز وجل ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾

¹ - تصحيح الفصيح و شرحه ، لابن درستويه ، 202 - 203

[سورة النساء 4 / 23]، وقال تعالى ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾ [سورة النساء 4 / 23] فكان يجب أن ترد الهاء المحذوفة منها في مصدرها كما ترد في جمعها ، فيقال في الفعولة منها : أموهة... أما الأمومة فإنما هو شاذ ، أخرج على لفظ الأم ، وليست الميم الثانية منها بلام الفعل ، وإنما اللام منها الهاء المحذوفة ، و الميمان عين الفعل قد كررت " 1 .

وفي موضع آخر يشير إلى أن المصدر (الأمومة) لا يأتي إلا للضرورة يسمع ولا يقاس عليه " وانما يستعمل ويجوز مثلها في ضرورات الشعر كما قال الشاعر : (متقارب)

إذا الأمهات كسفن الوجوه فرجت الظلام بأماتكا

فجاء في الأولى على القياس والصحة ، وأتى في الثانية على لفظ الأم دون المعنى للضرورة إلى الوزن والقافية ... وإنما المصدر الصحيح في الأم على الفعولة منها (الأموهة) لأن الكلام لا ضرورة فيه ، ولأن القياس أولى من الشذوذ ، وكان يجب على ثعلب إذا حكى المسموع الشاذ أن يبين الصواب المقيس ولا يختار إلا الأجود " 2 .

ويعتبر ابن درستويه تضعيف الميم في (الأم) لغة ضعيفة غير فصيحة ، تعتمد اللفظ دون المعنى وهذا هو سر خطأ ثعلب في رأيه " فلم يدر أن الفعولة يجب أن تكون لامها لام الفعل وأتى بعين الفعل المكررة في موضع اللام لما وجدها في الأم في موضع اللام في الواحد وفي قول من جعل الأم على اللفظ دون المعنى ، وهي لغة ضعيفة غير فصيحة كأنها مشتقة في المعنى بما أخذ في الإمامة والإمام " 3 .

ويرفض ابن درستويه آراء القائلين بزيادة الهاء في (أمهة) " ووزن أمهة عند هؤلاء فعلهة ، والأمهات فعلهات وهو مثال لم يجيء عليه شيء من كلام العرب ، ولم يذكر الخليل ولا سيبويه ولا أحد من مقدّمي أصحابها هذا البناء في أبنية الأسماء ، ولاذكروا أن الهاء تزداد إلا في موضعين أحدهما بعد ألف الندبة

¹ - تصحيح الفصيح و شرحه ، 201 - 202

² - تصحيح الفصيح و شرحه ، 202

³ - تصحيح الفصيح و شرحه ، 202

والآخر لبيان الحركة في مثل قول الله عز وجل: ﴿ وَمَا أَذْرَاكَ مَا هِيَ ﴾ (القارعة: 101/ 10) وفي مثل ارمه وعه¹ 1 .

والظاهر أن ابن درستويه قرر أن الهاء أصل موافقا للخليل لأنه رآها في الفعل الذي ظن أن منه أخذت (الأم) وهو مافضه الباحث ؛ فالاسم الجامد (أم) قد سبق الفعل في الساميات ، يقول ابن درستويه: " قد تأمه الرجل أمّا إذا اتخذ لنفسه أما وتصريف الأم وتفسيرها في كل معانيها : أمه يأمه أمّها ، في كتب المؤلفات الصحاح لأن تأسيسها من حرفين صحيحين وهمزة والهاء فيها أصلية ولكن العرب حذفت تلك الهاء إذ آمنوا اللبس "2.

ويوضح ابن درستويه حجة أخرى لمن قال بزيادة الهاء وهي " لإلحاق الأم التي هي عنده ثلاثية بالرباعي فإنه يجب أن يصرف الأمهه تصريف الملحقات بالرباعي ... فمن زعم أن أمهه هاؤها ملحقة وجب عليه أن يقول في فعلها (أمّه يؤمّه أمّهه) ولا يصرفها محذوفة ، ... لثلا يلتبس الملحق بغير الملحق ولا الرباعي بالثلاثي ، وهذا من أقوى الأدلة على أن من صرف الأم على الحذف إنما صرفها غلطا على اللفظ وترك المعنى " 3 .

وحجة أخرى لمن قال بزيادة الهاء في أمهه " أنه زعم أن الهاء في هجرع زائدة لأن الجرع مستعمل والهاء في هبلع زائدة لأن البلع مستعمل ، وأن الهاء في هركولة زائدة ، لأن الركل مستعمل فصير في الكلام أمثلة لا يعرفها الخذاق من النحويين وهي (هفعل وهفَعُولَة وفعلهة) ولولا أن هذا شيء مسطر في الكتب مدون عندهم لكان حكمه أن يهزأ من قائله ، ولا يحكي ولا يحتج عليه " 4 .

¹ - تصحيح الفصيح و شرحه ، 203

² - تصحيح الفصيح و شرحه ، 203

³ - تصحيح الفصيح و شرحه ، 203

⁴ - تصحيح الفصيح و شرحه ، 206

واستدل ابن درستويه - في مقابل ذلك - بما فيه الهاء - في رأيه - أصلية " وإنما الأمهات بمنزلة الأبهات والأبهة : الكبر وبمنزلة الترهات وهي الأباطيل واحداثها ترهة ومثل فوهة الطريق ... وليست الهاء في الأبهة والترهة والفوهة بزايدة عند أحد من النحويين ولا اللغويين " 1 .

كذلك استدل بكلمات أخرى في العربية مثل : " الحُلب وهو نبت ، والحُلْب وهو البرق الكاذب أو العُلف وهو ثمرة الطلح أو السلم وهو معروف " 2 . واستدل بأصالة الهاء بأصالتها في نظائرها أيضا مثل " العُلْفَة ، الحُمرة " 3 .

وأشار إلى (أمّهة) أيضا الزمخشري في شرحه 4 . لكنه لم يرفضه ولم يقره ، وكذلك ابن هشام اللخمي : " ويقال للآم أمّهة أيضا ، قال الشاعر : (أمّهتي حنْدَفٌ والياسُ أبي) ، ويقال أيضا في الأم : إم بكسر الهمزة " 5 .

وكان مما استدل به ابن درستويه على أصالة الهاء في (أمّهة) التصغير ، مستدلا بقول الخليل حيث قال : " ويقول بعضهم في تصغير أم : أميمهة ، وبعض يصغرها : أميمة على لفظها ، وهم الذين يقولون أمّات في الجمع " 6 .

وبذلك يكون جملة ما استدل به ابن درستويه على أصالة الصيغة (أمّهة) وعدم زيادة الهاء فيها ما يلي :

- 1- الجمع (أمّهات) .
- 2- تصريف الفعل (أمّه ، أمّه) .
- 3- الحمل على النظائر : الأبهة والترهة والحُمرة .

1- تصحيح الفصيح و شرحه ، 203 - 204

2- تصحيح الفصيح و شرحه ، 206

3- تصحيح الفصيح و شرحه ، 207

4- شرح الفصيح ، للزمخشري ، 280

5- شرح الفصيح ، ابن هشام اللخمي ، 169 - 170

6- تصحيح الفصيح و شرحه ، 203

4- التصغير (أميمة) الذي يرد الأشياء إلى أصولها .

وكان بعض القدماء يرون " الأممة لغة في الأم ، قال أبو بكر : الهاء في أممة أصلية وهي فُعلة بمنزلة تُرْهَة وأُنبهة . وخص بعضهم بالأممة من يعقل وبالأم من لا يعقل ... والقرآن العزيز نزل بأمهات وهو أوضح دليل على أن الواحدة أممة . قال ابن سيدة : وهذا يقوي كون الهاء أصلا لأن تأمّمت تفعلت بمنزلة تفوّهت وتنبّهت " 1 .

ومثلما رأى بعضهم الهاء أصلية رآها آخرون زائدة كزيادتها في الفعل أهراق : والجمهور على (أم م) أصولا لكلمة (الأم) " وتدور مادة (أم م) في اللسان العربي حول أربعة معان : وهي الأصل والمرجع والجماعة والدين " 3 .

ولو تتبعنا (أم) في الدراسات المقارنة سنجد - تاريخيا - بدأ بالميم فقط متبوعا بالحركة القصيرة أو الطويلة تعبيرا عن وحدة المقطع المفتوح فالعنصر الأساسي إذن كما يشير لويس عوض " هو (ما) وهو مشترك بين العربية وبقية الساميات والمصرية القديمة والمجموعة الهندية الأوروبية " 4 . وكان Drake قد أشار إلى ذلك عندما عرض للجذر في عدد من اللغات الهندوأوروبية والسامية وغيرها: " في العبرية em ، في الباسك ama ، في القوطية Mathair ، في الأنجلوساكسونية Modor ، في اللاتينية Mater ، وفي السنسكريتية Matre ، ولا أستطيع اكتشاف أصل (thair) في القوطية أو (dor) في الأنجلوساكسونية " 5 . و نجد في المصرية القديمة (من الحاميات) mu-t 6 .

¹ - لسان العرب / أمه

² - أبنية الأسماء والأفعال والمصادر ، ابن القطاع الصقلي ، 104

³ - من أسرار اللغة في الكتاب والسنة ، محمود محمد طناحي ، 97

⁴ - مقدمة في فقه اللغة العربية ، لويس عوض ، 319

⁵ - E. Drake : Discoveries 55 - 56

⁶ - E.A.Wallis: An Egyptian Hieroglyphic dictionary , 294

انظر :

ويشير Drake إلى أن " اللفظة الإنجليزية mama جاءت عن طريق التضعيف 1"reduplication .

ولاحظ ذلك جرجي زيدان في قوله : " ومن الغريب اتفاق وجود اسم الوالدة في سائر لغات البشر بلفظ واحد تقريبا والمقطع الأصلي فيه الميم " 2 .

وهو نطق طفولي بدائي للفظ مع الحرف الشفوي (م) تطور تدريجيا إلى الجذر الشائي (أم) فسكنت الميم في بعض اللغات لتصير مقطعا واحدا مغلقا (أم) (ص ح ص) وتحركت في لغات أخرى لتتكون من مقطعين قصيرين مفتوحين (أم) (ص ح) + ص ح ، أو (أمو) ص ح + ص ح ح ، وتوالى مقطعين مفتوحين في الحالة الثانية ربما لا تستسيغه بعض الألسنة العربية فيتم نبر المقطع الأول مع المقطع الثاني لينتج صوتا مضعفا يغلق المقطع الأول بالصامت الميم : (أم) ص ح ص + ص ح .

وفي هذه الحالة المنبورة لا تحتاج اللغة العربية بطبيعة الحال إلى تطويل الحركة القصيرة في المقطع الثاني ، بينما ظهرت في لغات أخرى كالأكدية (ummu) أما الصائت الأول في المقطع الأول فيختلف باختلاف اللغات ما بين الفتح أو الضم أو الكسر وهذا الاختلاف والتغير كما يشير بروكلمان يحدث بتأثير الحروف الشفوية في كل اللغات السامية 3 .

- فقد نجدها (0 - u - umm) في الأكدية والأشورية والعربية وكذلك العربية الجنوبية وبعض لهجات الحبشة .

- وقد نجدها ('e) كما في العبرية والفينيقية والآرامية (em) .

- وفي الحبشية أيضا (em)

- وفي السريانية (emma) .

¹ -E. Drake : 55

² - الألفاظ العربية و الفلسفة اللغوية ، جرجي زيدان ، 31

³ -C. Brockelmann : Precis de linguistique semitique , 99

- وفي بعض اللهجات العربية وكذلك بعض القراءات القرآنية (إم) ¹ .
- وقد نجدها بالفتح (amma) في الآشورية ² .

والذي يدل على صدق ما ذهبنا إليه في نبر المقطع المؤدي إلى التضعيف أن التشديد يتأكد ظهوره في حالة الحاجة إلى تحريك المقطع في حالة الوصل لا الوقف كما في حالة الإضافة الأمر الذي دعا أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب إلى أن يذهب إلى أن تشديد الميم أصيل " بدليل ظهوره عند الإضافة مرة أخرى " ³ ، وهو ما نوافق عليه بشرط أن نعهده أصلاً في مرحلة التثليث لا في مرحلة النشأة!! .

وتؤكد النقوش الجزرية المختلفة ثنائية الجذر (أم) فهو معروف بالصيغة نفسها في الصفوية ، واللحيانية وجاءت بصيغة (أم م) في السبئية ⁴ .

ومن النقوش النبطية نجد العبارة التالية في أحدها :

دي بن و قبرو أم كع ب و وقراءتها : الذين بنوا قبر أم كعب ⁵ .

ومع ضمير الغائب نقراً جزءاً لنقش نبطي :

... لن ف س هـ وي ل دهـ و ح ب و ام هـ

- وقراءته : ... لنفسه ولأولاده وأمه ح ب و ⁶ .

وهذا ما يشير إليه خبير النقوش الجزرية دكتور سليمان بن عبد الرحمن الذيب أن لفظة (أم) " قد جاءت في النقوش السامية الأخرى مثل الأوجاريتية والفينيقيّة والتدمرية واللحيانية بينما عرفت بصيغة (أم م) في السبئية وبصيغة **em** (em) في العهد القديم ، وبصيغة أمّا (ommā) في السريانية ، وبصيغة

¹ - انظر : - جمهرة اللغة لابن دريد 1 / 60 ، التطور النحوي للغة العربية ، 55 - تاريخ اللغات السامية ، 283 - ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية ، 17 - معجم مفردات المشترك السامي ، 59 - ملتقى اللغتين العبرية والعربية 2 / 10 - البراهين الحسية 76 ، وانظر :

- W.Gesenius: 51

² - المعجم النبطي دراسة مقارنة للمفردات والألفاظ النبطية ، سليمان بن عبد الرحمن الذيب ، 23

³ - في قواعد الساميات العبرية والسريانية والحبشية ، رمضان عبد التواب ، 158

⁴ - نقوش الحجر النبطية ، سليمان بن عبد الرحمن الذيب ، 81

⁵ - نقوش الحجر النبطية ، 169

⁶ - نقوش الحجر النبطية ، 172

('emm) في الحبشية الكلاسيكية وبصيغة (ام ا) في النقوش الحضرية واللهجة الآرامية الفلسطينية وبصيغة amma في الآشورية ¹ .

واللافت للنظر في لغات النقوش السامية أننا لم نجد مطلقاً اللفظ (أمهة) الذي أشار إليه ابن درستويه من قبل ! . وفيما يخص الجمع (أمهات) ومفرده (أمهة) عند ابن درستويه سنجد أن الهاء زائدة وليست أصلية ، حتى لو كان الخليل قد سمع (أمهة) من بعض الأعراب وعليها بني قاعدته التي أخذ بها ابن درستويه مستشهداً بالجمع (أمهات) في القرآن الكريم ، ومتجاهلاً في الوقت ذاته أن المفرد (أم) قد ورد أيضاً في القرآن الكريم ، دون (أمهة) ! .

ومما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى :

﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (القصص 28 / 13) .

- وقوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ (لقمان 31 / 14) .

- وقوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ (الأحقاف 46 / 15) .

- ويوافقه ما جاء في الحديث الشريف : " عن أبي هريرة قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من أحق الناس بحسن صحابتي قال أمك قال ثم من قال ثم أمك قال ثم من قال ثم أمك قال قال ثم من قال ثم أبوك " ² .

فالهاء - في الجمع المنتشر بكثرة في الفصحى وخاصة لمن يعقل ، ونكاد لا نراه في المفرد - هاء زائدة جاءت لسبب ما قد يكون (تفخيم اللفظ أو تكثيره أو تعظيمه) خصوصاً إذا علمنا أن الصيغ الثنائية (اسم وحم وأب وأم وشقة) قد وجدنا لها جموعاً بالهاء في اللغات السامية .

¹ - المعجم النبطي دراسة مقارنة 23

² - رياض الصالحين ، الإمام النووي دمشقي ص 133

فكلمة (أب) أبًا تجمع في السريانية جميعين كلاهما بالهاء (أب جسدي) يجمع على أبؤا (bāha) ،
و (أب روحي) يجمع على أبؤة abbahuta أو يصف ذلك علماء السريان بالخروج عن القواعد في الجمع
(1) . وربطها الدكتور رمضان عبد التواب بالجمع (أبهات) في العامية العربية 2 .

وربطها ليندبرج Lindberg بقانون المخالفة من الواو إلى الهاء حيث تجمع (أب - أمة - اسم
- وغيرها) عن طريق حدوث " حالة مخالفة في بعض أشكال الجمع ، انتقال غريب من الواو إلى الهاء ، في
بعض الكلمات الآرامية والعربية والعبرية : أبهات : في السريانية أبؤة ، أبؤا (bāha - abbahuta) أ في
الآرامية الغربية : אבהו و אבהת ('abhīn 'bhót) ، وجمع (أمة) في العبرية אמהות و אמהות
(تقرأ : أمهوت - أميهوت) ، وفي السريانية أمؤة (أمهاتا) ، وفي الآرامية الغربية אמהתא و אמהו
تقرأ : أمهاتا - أمهن) ، وفي العربية أموات - وجمع (اسم) في السريانية شمؤة 2 - شمؤا (شمهاتا - شهاها
(، وفي الآرامية الغربية שמחה و שמחה (شمهت - شمن) مأخوذة من الجمع : samawāt و
samawīn - وجمع (حم) في السريانية ܡܡܡܡ (حماها) مأخوذة من hamawīn " 3 .

ويؤكد د. عبد الرحمن السليمان أن " إضافة الهاء في جمع (أم) مطردة في السريانية والعربية وغيرها
من اللغات السامية (مثلاً : أم - أمهات) إلا أن العربية تفردت باحتفاظها بالشكلين معا (أمات) وهي
الأصل و (أمهات) وهي الفرع الذي طغى على الأصل في الاستعمال " 4 .

و يرى برجستراسر قدم الهاء في الجمع في العربية فهي " علامة للجمع قديمة جدا ...
وتنحصر في الأسماء الثنائية ولا تنفرد وحدها بل يزيد الاسم بزيادتها ثلاثيا ثم يجمع بالجمع الصحيح أو
المكسر مثال ذلك عن الجمع الصحيح : (أب) كان جمعها abahat وهي في الآرامية abahata

¹ - انظر المراجع التالية : اللمعة الشبيهة في نحو اللغة السريانية ، 106 - 174 / - قاموس كلداني عربي ، باب
الألف ، ص 1 . / الآثار الآرامية في لغة الموصل العامية 14 . وانظر أيضا :

- L.Costaz: Syriac-English- French – Arabic dictionary , 1

² - في قواعد الساميات العبرية والسريانية والحبشية ، 251

³ - O. E. Lindberg: Vergleichende grammatik , 116

⁴ - ملاحظات ومقارنات لغوية ، عبد الرحمن السليمان ، ص 3

، وقيس عليه : أم أمّهات ، وإن لم تكن أم من الأسماء الثنائية فجمعها بالهاء قديم أيضا ، يشاكلة في الآرامية emmhata ، وسنة : سنهات ، وعضة عضات ، ومنه في العبرية amahot ، وهي في الآرامية : amhata أي الإماء ، ولا جمع على الهاء من (أمة) في العربية " ¹ .

ولا يرد علينا بأن الأم ليست من الأسماء الثنائية في جمعها (أمّهات) كما أشار برجشتراسر ؛ فإن هذا التضعيف قد حدث في (أبّهات) أيضا في تضعيف الباء هربا من توالي مقطعين قصيرين مفتوحين ، وكان الهدف في الأساس تكملة عدة الثنائي ، حدث ذلك في العامية العراقية والمصرية وغيرهما .

يشير إلى ذلك د. إبراهيم السامرائي الذي رأى " أن الهاء في (أبّهات) شيء من تمام عدة الثلاثي وهربا من الثنائي ، فأوضح أن (الهاء) في أصلها قد جيء بها لهذه الفائدة ولكن النطق العامي قد طوي هذه الفائدة بتضعيف الباء ، وهذا من سنة العوام في الإفادة من التضعيف لغرض الحصول على ثلاثة الأحرف ونظير هذا في العربية الفصيحة (سنهات) وهي مثل (سنوات) " ² .

ويرى أرينز " أن الجذور الأصلية للأسماء والأفعال ذات صامتين ثم تثلت هذه الجذور بواسطة أحد الأصوات المساعدة وهي : (ي - و - ه - ن) ، ففي الأسماء تستعمل الهاء كأصل ثالث مفتعل في الآرامية والعربية " ³ . وكان Lindberg قد عدّه نوعا من المخالفة وقصره على الكلمات الثنائية في الساكن الثاني الميم والباء ⁴ .

و الملاحظ أن الجمع في (أم) بالهاء شائع جدا في السريانية مما جعل رفائيل نخلة اليسوعي يعتقد أنها " من الكلمات التي أخذتها العربية من السريانية " ⁵ . وجعله صاحب اللمعة الشهية جمعا خارجا عن القاعدة لخلو مفرده من تاء التأنيث إمّا ← إمؤةُ emhoto ⁶ . وأشار يعقوب أوجين منا

¹ - التطور النحوي للغة العربية ، برجشتراسر، 111 - 112

² - دراسات في اللغتين العربية والسريانية ، إبراهيم السامرائي ، 32

³ - انظر : المعجم التأصيلي للفعل الناقص في اللغات السامية ، عمر صابر عبد الجليل ، 12

⁴ - O. E. Lindberg: 116

⁵ - غرائب اللغة العربية ، الأب رفائيل نخلة اليسوعي، 173

⁶ - اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ، إقليميس يوسف داود الموصلي، 106

إلى صيغتين لجمع الأم في السريانية "emhōto ܐܡܗܘܬܐ، emhā ܐܡܗܐ" ¹ . وجعلها الدكتور رمضان عبد التواب وبولس الكفرنيس من الأسماء الشاذة في الجمع في السريانية ² . وجعل بولس الكفرنيس الهاء في تلك الجموع الثنائية الجذر "من قلب الحرف المحذوف منها هاء للخفة" ³ .
و الجدير بالذكر أن النسب إلى أم وأب في السريانية بالهاء والياء وليس بالواو والياء كما يحدث في العربية: ܐܡܐ - ܐܒܐ : ܐܡܗܐ - ܐܒܗܐ (أما - أمها ، أبأ - أبيها ، أما - أمها) ⁴ .

وبالبحث في النقوش الجنوبية نجد صيغا مقابلة لـ (أمهات) ففيها " قد ينتهي بناء الجمع بالهاء كما في : 'abh (آباء) ، و 'mh (إماء) جمعا لـ 'mt ، كما وردت في 'mht بزيادة علامة التأنيث للجمع أيضا فأصبحت تقابل (أمهات) في العربية " ⁵ .

وبعد هذا العرض المقارن يتضح للباحث أن الهاء في الجمع (أمهات) هي هاء زائدة لا أصلية كما زعم ابن درستويه ، زادت لتضخيم اللفظ أو تكثيره أو تعظيمه ، ولا تصلح للاستدلال على أن المفرد (أمهات) كما زعم ، لأنه استدلال عكسي ، فنحن نستدل بالمفرد على الجمع وليس بالجمع على المفرد لأن الأصل فيهما هو المفرد والفرع هو الجمع وثبت من القرآن والسنة والنقوش العربية القديمة والدراسات السامية المقارنة أن المفرد (أم) .

ولا يستدل علينا ابن درستويه بالفعل لأن الفعل موضوع من الاسم الجامد كما وضحنا في (أب وأخ) والاستشهاد بالنظائر الموجودة فعليا لا يصلح للاستدلال على أصل غير موجود أو أقصى وجود له هو سماعه شاذًا من بعض الأعراب ، كما لا يصلح الاستدلال بالاسم المصغر (أميمة) لأنه

¹ - قاموس كلداني عربي ، المطران يعقوب أوجين منا ، 24

² - في قواعد الساميات العبرية والسريانية والحبشية ، رمضان عبد التواب ، 193 / غرامطيق اللغة الآرامية السريانية ، بولس الكفرنيس ، 57

³ - غرامطيق اللغة الآرامية السريانية ، 69

⁴ - الأصول الجلية في نحو اللغة الآرامية ، يعقوب أوجين منا ، 58

⁵ - قواعد النقوش العربية الجنوبية ، كتابات المسند ، ألفريد بيبستون ، 46

من وضع ابن درستويه نفسه ، والاسم المصغر (أميمة) يوجد في الأشعار القديمة ولا يوجد (أميمة)
قال النابغة¹: (طويل)

كَلِينِي لَهْمُ يَا أُمَيْمَةُ نَاصِبٍ وَلِيلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ

ثالثا : (دم)

اختلف العلماء في (الدم) : هل هي على حرفين أم على ثلاثة ؟ وإن كانت على ثلاثة فما الحرف الثالث هل هو الياء أم الواو ؟ وفي هذه الحالة ما حركة الميم هل هي متحركة أم ساكنة ؟
جاء عند ابن هشام اللخمي : " زعم سيبويه أن الدم في الاصل ساكن العين قال أبو العباس المبرد : هذا خطأ ، لأنك تقول في فعله دمي يدمي ، وجاء في الحديث : (هل أنت إلا إصبعٌ دميت) فمصدر هذا لا يكون إلا فعلاً ، كما تقول : فِرَقَ يَفِرُقُ والمصدر الفَرَقُ ، وكذلك الحَذَرَ والبَطَرُ ، وجميع هذا الباب ، قال : ومن الدليل على أنه فعلٌ أن الشاعر لما اضطر إلى رد المحذوف لإقامة الوزن جاء به على هذا الأصل ، فقال : (وافر) :

فَلَوْ أَنَا عَلَى حَجَرٍ دُبَحْنَا جَرَى الدَّمِيَانِ بِالْخَبْرِ الْيَقِينِ " 2 .

ويرد ابن هشام اللخمي على المبرد " قال : وهذا الذي احتج به أبو العباس لا يلزم ؛ لأن الكلام في الدم المسفوح لا في مصدره وقد يكون الشيء على وزن ، فإذا صرف منه فعل كان مصدر ذلك الفعل على غير لفظه ... فأما احتجاجه بقوله في البيت : جرى الدميان ، فلا حجة فيه أيضا ؛ لأنه حرك الميم إشعاراً بأنها في المفرد متحركة بحركة الإعراب " 3 .

لكن ابن سيدة كان له رأي آخر في تعليل تحرك الميم " قال ابن سيدة : وقال قوم : أصله دَمِيٌّ . إلا أنه لما حذف ورد إليه ما حذف منه تحركت الميم لتدل الحركة على أنه استعمل محذوفا " 4 .

¹ - ديوان النابغة الذبياني 29

² - شرح الفصيح ، ابن هشام اللخمي ، 189

³ - شرح الفصيح ، ابن هشام اللخمي ، 190

⁴ - انظر : لسان العرب / دمي

واختلفوا في الذهاب من (دم) بزعمهم ولكن معظمهم يكادون يتفقون على أنه ثلاثي ، يقول الزمخشري في شرحه : " الدم اسم محذوف ذهبت لامه ، واختلفوا في الذهاب منه فقال بعضهم : ياء وقال آخرون : واو لأنه يقال في الثنية دميان ودموان " ¹ .

في حين نجد ابن درستويه يريحنا من عناء هذا الخلاف فيقرر أن المحذوف ياء : " وأما الدم فحذفت من آخره الياء في الأفراد والتوحيد كما حذفت الواو من أب وأخ فإذا ثني فمن العرب من يرد فيه الياء فيقول دميان . ومنهم من لا يردها ولكن يقول : دمان ، وكلهم لا يردونها في الإضافة يقولون دمك ، ودم زيد " ² . والعجيب في الأمر أن ابن درستويه نفسه الذي كان يتمسك بأن الإضافة ترد الأشياء إلى أصولها كما ردت الثالث في (أب وأخ) إلا أنه هنا يتجاهل ذلك !! .

وكما فعل من قبل في تأصيله لكلمة (أم) يستعين في تأصيل (دم) بالفعل والجمع والتصغير ، " إذا صرف منه الفعل أو من أب وأخ ، رد فيه المحذوف فقيل : دَمِي يَدَمِي دَمِي . وكذلك إذا جمع قيل : الدماء ... وكذلك ترد في التصغير فيقال : دُمِي " ³ . وكنا قد ردنا عليه هذه الاستشهادات في (أم) . وكان آخرون قد رأوا أن الدم ثنائي " قال أبو الهيثم : دم اسم على حرفين ، قال الكسائي : لا أعرف أحدا يثقل الدم " ⁴ . وإذا كان من العرب من ثناه بالياء وهو الغالب - كان منهم من ثناه بدون الياء ، وكان فريق ثالث يثونه بالواو وهو قليل ، الأمر الذي جعلهم يقولون : " أما الدموان فشاذ سمعا " ⁵ .

كل هذه الخلافات أمر طبيعي ومتوقع مع اختلاف الناطقين وبيئاتهم وعاداتهم اللغوية وهو ما يدل على أن الجذر ثنائي تعاورته الألسنة ، كل بطريقتها . وقد لاحظنا فيما سبق أن اللغة في تطورها تبدأ

¹ - شرح الفصيح ، للزمخشري ، 571

² - تصحيح الفصيح و شرحه ، لابن درستويه ، 395

³ - تصحيح الفصيح و شرحه ، 395

⁴ - لسان العرب / دمي

⁵ - لسان العرب / دمي

بالمحسوسات باتجاه المعاني وتبدأ بالجوامد باتجاه الأفعال وتبدأ من القليل إلى المتعدد ، ومن المقطع الصغير إلى المقطع الأكبر ، وبعبارة أخرى تبدأ من البسيط إلى المركب ، وهي في تحركها تنمو وتنضج حتى تصل إلى نظام ثابت مستقر يتعارف عليه أهلها ويرتاحون له عن قصد منهم أو بلا قصد .
وفي طريق استقرار اللغة نجد أصحابها يوحّدون على نظامها كلّ ما خرج عنه أو بعبارة أخرى تكمل ما نقص ليتواءم ونظامها اللغوي وليطرد الباب على وتيرة واحدة ، وهذا أمر مقبول مطرد ، أما ما لا يُقبل فهو أن نخلق بأيدينا أفعالا من الأسماء الجامدة ، ثم نقلب على تلك الأسماء لنخضعها إلى ما صنعناه منها !! .

وهذا ما حدث بالضبط في كلمة (دم) - وغيرها - وهي بلا شك جذر ثنائي بقي من دلائل الركام اللغوي التي تؤكد الثنائية الأولى في النظام اللغوي ، فإذا ما احتاج أهل اللغة إلى فعل من (الدم) كان التثليث بالصائت هو الحل الأمثل والغالب في مثل هذه الحالات ، والصوائت مائعة على الألسن ، فمنهم من جعله بالياء وهو الأعم الأغلب ، ومنهم من انحرف إلى الواو وهو قليل نادر في بعض اللهجات .

وهذا من طبيعة الصوائت فهي تبيع على الألسن وتبادل فيما بينها حتى إننا لنلاحظ أن اللغات السامية تتفق في كثير من الحالات من ناحية السواكن ويصعب - إن لم يكن مستحيلا - توافقها في الصوائت ، بل إننا لا نجد هذا الاتفاق على مستوى اللغة الواحدة في لهجاتها المتنوعة ! .

والمقارنات السامية¹ تؤكد لنا ما نذهب إليه من ثنائية (دم) مع اختلاف الألسنة في الصائت الثالث ما بين فتح وضم وكسر ، فاللفظ في العبرية דָּם dām بحركة طويلة بعد الدال ، وإذا ما

¹ - انظر : - المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ، 215 - معجم مفردات المشترك السامي ، 174 - المعجم التأصيلي للفعل الناقص في اللغات السامية ، 71 - في قواعد الساميات ، 411

أضيفت قُصُرَت الحركة ، فتصبح عند إضافتها **דַם הילד** دم الطفل¹ . (dam hayyeled) .
 وورد في سفر يونس (**דַם**)² . وكان مروان بن جراح قد أشار في معجمه العبري إلى أن " هناك مواد
 ثنائية تجمع وتضاف بغير تشديد مثل **דַם** ، **דַמים** " ³ . dām - dāmīm .
 والكلمة في الحبشية dam ، وفي السريانية dem ، وفي الآشورية damu ، وفي
 الآرامية **דַם** dām ، وفي الأكادية dāmu . و dāmum بالتميم .
 وأكد بروكلمان وأوليري أنه في الآرامية demā ، وفي الآشورية dāmu⁴ . في حين أكد د
 ربحي كمال أنه في الآرامية : **דַם - דַמָּא - דַמָּ** dmā - dam⁵ . كما ذكر إيشو بارعلي وإسرائيل ولفنسون ،
 ويعقوب أوجين منا ، وإغناطيوس يعقوب الثالث ، وبولس الكفرنيس على أنها في السريانية دما
 dmā⁶ . وجمع بين الصيغتين جزيبيوس ولويس كوستاز⁷ . ولعله جمع الصيغة المعرفة مع النكرة .
 وفي العربية الجنوبية جاء في المعجم السبئي " الاسم : Dm . dmw-m ، والفعل المضارع
 : ydmw⁸ . ويشير محمد عبد القادر بافقيه " أنه ليس من المستبعد أن يكون التميمم أحيانا بمنزلة
 لام الجنس في العربية نحو : دم (د م) الدم . " ⁹ .

¹ - انظر : اللغة العبرية ، سيد فرج راشد ، 106

² - دروس في اللغة العبرية ، ربحي كمال ، 554

³ - المعاجم العبرية دراسة مقارنة ، سلوى ناظم ، 138

⁴ - C. Brockelmann: Kurzgefasste vegleichende Grammatik 156

O'Leary: Comparative grammar of the Semitic languages, 177

⁵ - دروس في اللغة العبرية ، ربحي كمال ، 554

⁶ - Isho.B.Ali: The Syriac –Arabic glasses ,

346 انظر :

وانظر أيضا : تاريخ اللغات السامية ، إسرائيل ولفنسون ، 286 / الأصول الجلية ، 99 / البراهين

الحسية ، 82 / غرامطيق اللغة الآرامية السريانية 295

⁷ - W.Gesenius: 196

L.Costaz: Syriac-English- French – Arabic dictionary , 66

⁸ - A.F.L Beeston , 36

⁹ - مختارات من النقوش اليمنية القديمة ، محمد عبد القادر بافقيه وآخرون ، 76

ويتضح أن الفعل في العربية الجنوبية بالواو ، لذا فهو يختلف مع ما ذهب إليه علماء العربية من أنه بالياء ، ويؤكد ما ذهبنا إليه من التفاوت الطبيعي بين الصوائت في الساميات فهو واقع بالواو " في العربية الجنوبية دمو (دم و) : فعل مشتق من : دم بمعنى : دمي ، نzf " ¹ .

وهذا يخرج بنا إلى النتيجة الحتمية وهي أنه يوجد " في اللغات السامية كثير من الأسماء الثنائية السواكن بالإضافة إلى الأسماء الأحادية ، فلا بد أن يحكم على أنها قديمة قدما مناسبا بسبب ما تدل عليه ، ومنها دم ... إن عزو هذه الأسماء إلى الجذور الثلاثية السواكن يجب رفضه لكونه مفتعلا ومتكلفا " ² .

وقد ناقش علماء اللغة المعاصرون - خاصة المستشرقين - كثيرا من الأصول اللغوية التي ترجع إلى جذرين اثنين ، والتبس الأمر على بعض منهم بأن تلك الأصول ثلاثية ، في حين أشار آخرون إلى عزو كثير من الثلاثيات إلى النظرية الثنائية من جانب ، ومن جانب آخر إلى أصول ثنائية ما زالت قائمة بالفعل أنراها ثنائية على حقيقتها في مثل (يد - غد - اسم) وغيرها أونراها زادت حرفا غير أصيل مثل زيادة تاء التأنيث في أمثال عضه ورثة ومئة واللات وسنة وشفة وأمة .

و يشير ألفريد بيستون في قواعد النقوش العربية الجنوبية إلى " أسماء ثنائية الجذر نحو : L ' (إله) و h ' (أخ) ، و yd (يد) وسواها وإن كانت تتحول إلى جذور ثلاثية في المشتقات بإضافة حرف معتل غالبا كما فعل في h'w (تحالف) " ³ .

ومثل شفة بإضافة التاء موجودة في العربية الجنوبية أيضا " وربما نشأت بعض الأفعال الثلاثية الثانوية بأن يعد حرف التاء أصيلا في بناء الاسم بالرغم من أنه ليس كذلك كما في الفعل : sft (وعد) الذي ربما كان مشتقا من الاسم : sft (شفة) لأنه اسم ثنائي الجذر أضيف إليه العنصر t - " ⁴ .

¹ - المعجم التأصيلي للفعل الناقص في اللغات السامية ، عمر صابر عبد الجليل ، 71

² - مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، سباتينيوس موسكاتي و آخرون ، 126

³ - قواعد النقوش العربية الجنوبية ، كتابات المسند ، 21

⁴ - قواعد النقوش العربية الجنوبية ، 21

وفي التثليث أيضا في العربية الجنوبية " تتحول كلمتا bn و h' في نقوش المرحلة التالية للمرحلة المبكرة أحيانا إلى h'y و bny إذا أضيفتا إلى الضمائر كما في :
'mlky sb' lhn w bnyhw smrm (فلان وابنه فلان ملكا سبأ)
-و: 'mlky sb' zl bny hyhw y' w' lsrh yḥqb (فلان وأخوه فلان ملكا سبأ)¹.

وأشار كارل بروكلمان إلى العديد من هذه الصيغ الثنائية المكونة من حرفين²، ومنها في العربية : شفة - ماء، وفي العبرية miim, šafa، وفي السريانية seftā, maia، وفي الآشورية šaptu, mé وفي الآرامية mā, šaft، أو في الحبشية mai.
وفي السريانية تتعدد نفس الكلمات العربية المكونة من حرفين، يقول صاحب اللمعة الشهية :
" أما الأسماء الحاصلة من حرفين فهي في الغالب الأسماء العربية نفسها التي حالها كذلك وهي :
- ابا (ābā) = أب - برا (brā) = ابن - اح (āḥā) = أخ - دما (dmā) = دم - شما
(šmā) = اسم - زنا (znā) = نوع³.

وفي المصرية القديمة (من الحاميات) تنتشر بكثرة الكلمات ثنائية الجذور منها :
spt - شفة - ماء mu - su - ذا⁴.
و تتضح أيضا في العبرية ثنائية الأفعال المعتلة " يتضح هذا من كلام إبراهيم بن عزرا : اعلم أن كل القدماء كانوا يقولون أن جذر ירר (يارخ) هو יר فقط ، وجذر ישב (ياشب) هو كذلك
שב وجذر יעשה (عاشا) هو עש فقط وهكذا وجدوا هذه الأفعال ... وجذر יגע (ناجع) هو גע

¹ - قواعد النقوش العربية الجنوبية ، 44

² - C. Brockelmann : Precis de linguistique semitique , 125

³ - اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ، إقليميس يوسف داود الموصلي 86

⁴ - C. Brockelmann : Precis de linguistique semitique , 125

وجذر **ṣṣḥ** (ناطا) ، هو حرف **ṣ** الطاء فقط و **ṣ** هو **ṣ** الزاين فقط ... وهكذا كانت وجهة نظر يهودا بن قوريش ومناحم بن سروق ¹ .

ومن الثنائيات أيضا في العبرية **ṣ** (يد) وهي في الآرامية **ṣ** ، **ṣ** (يدا) ، وفي السبئية **ṣ** (يد) ، وفي الحبشية **ṣ** (ad) ، وفي الآشورية **ṣ** ² .

وفي اللغات السامية الحامية " تدعم المقارنة الفرضية الثنائية السواكن ، ففي السامية : قتل qtl ، في الكوشية : قَل qal ، والسامية بعل pL (بمعنى فعل fL ...) ، والكوشية فل fal ³ . وفيها نجد المصرية القديمة والتي تتميز أصولها بأنها مركبة غالبا من حرفين ⁴ .

ومن أشهر المفارقات في هذا الشأن ما يخص الثنائية (اسم) " فليست الهمزة في اسم العربية إلا همزة وصل لا تعويض عن الفاء في رأي الكوفيين أو عن اللام في رأي البصريين فقد قال الكوفيون إن أصل الكلمة (وسم) وقال البصريون أصلها : (سمو) ! " ⁵ .

وتشير المقارنة بالساميات إلى أن (اسم) ثنائي الجذر فهي تقابل :

- **smā** في السريانية وأصلها **sum** - **ṣm** في الحبشية .

- **sumu** في الآشورية والأكدية - والعبرية توافق العربية فهو فيها **śēm** ⁶ .

ولقد أكد هذه المرحلية اللغوية كثير من المعاصرين ؛ فيذهب ولفنسون إلى " أن الكلمات المؤلفة من حرفين ... إنما هي أقدم من الأفعال المشتقة من ثلاثة حروف مثل فعل وكتب وأكل ، وأن

¹ - المعاجم العبرية دراسة مقارنة ، سلوى ناظم 46

² - W.Gesenius: Hebrew and English lexicon, 388

³ - مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، 126 .

⁴ - مفتاح اللغة المصرية القديمة ، أنطون ذكري 42 .

⁵ - في قواعد الساميات ، رمضان عبد التواب 148 .

⁶ - انظر : في قواعد الساميات ، رمضان عبد التواب 116 / التطور النحوي للغة العربية ، برجشتراسر 55

الأفعال الثلاثية أقدم من الأفعال الرباعية " ¹ . كما يشير د. السيد يعقوب بكر إلى أنه " في مرحلة معينة ساد النظام الثلاثي فدخلت فيه الجذور الثنائية بإضافة حرف ثالث إليها " ² .

و أشار نولدكة أيضا إلى مثل ذلك حول هذه الثنائيات ووصفها بأنها " مغرقة في القدم وأن تلك الصيغ التي تبدو من هذه المواد وكأنها ثلاثية تفسر باعتبارها تمثل اتجاهها في التغير نحو الثلاثية " ³ .
و استدل جرجي زيدان على صدق هذا الاتجاه " أن الحرف المزاد واقع في آخر الكلمة وهذا هو الأغلب " ⁴ .

ومن القدماء يمكننا أن نشير إلى أن ابن جني كان من القلائل الذين شعروا بالثنائية في كثير من الكلمات ففي باب (يد ، دم ، هن) يشير إلى أنها كلمات ناقصة " وهو باب لم يأت تاما على أصله إلا في أماكن شاذة ... وعلمي أن منها ما لم يأت على أصله البتة وهو معرب ، وهو جرّ وسهّ وفم " ⁵ .
فهذا العالم يشير إلى الثلاثية كأصل ولكنه يدرك أن بعض الكلمات ثنائية لم تأت ثلاثية في أي صورة ، وكان يشير إلى فساد بعض العلل في تفسير القدماء للثنائيات بوصفها ثلاثيات ، الأمر الذي يشير إلى خلل كبير في معالجتهم للثنائيات ⁶ .

وقد عرضنا تلك النظرة التاريخية لتأكيد القول بثنائية العديد من الألفاظ في العربية جاء منها جانب خلافي اتضح في اختلاف شراح الفصيح حول عدد من الأصول الثنائية الشهيرة و الأكثر استخداما في اللغة العربية أهمها : { (أب - أخ) ، و (دم) ، و (أم) } ، اختلفوا في رؤى عديدة لكنهم اتفقوا على ثلاثية تلك الجذور .

¹ - تاريخ اللغات السامية ، إسرائيل ولفسون 16

² - الحضارات السامية القديمة ، سباتينو موسكاتي 241

³ - مدخل إلى علم اللغة ، محمود فهمي حجازي 98

⁴ - الألفاظ العربية و الفلسفة اللغوية ، جرجي زيدان 48

⁵ - الخصائص ، 1 / 170

⁶ - انظر : الخصائص ، 1 / 172

الجدير بالذكر أن دراسات المستشرقين كان لها فضل عظيم في كشف حقيقة كثير من تلك الثنائيات العربية . ومن ذلك ما قدمه Barth وبروكلمان وغيرهما حول عدد من الكلمات الثنائية في اللغة العربية واللغات السامية ومنها : (حم - أخ - أم - اثن - شفة - شاة - عضه - دم - فم - يد - ابن - اسم - قوس - مئة - است - سنة - أمة - فئة - حطة - ذو - هن - رحي - ثدي - جب - جرو)¹ .

¹ - J.Barth: Die Nominalbildung in den Semitischen sprachen , 3 -9
- وناقش مثلها أيضا بروكلمان، انظر المرجعين :
C. Brockelmann: Kurzgefasste vegleichende Grammatik , 156
C. Brockelmann: Syrische Grammatik 57